أفرابيا
للنخب الأفروعراقية
Center for Afro-Iraqi Elites

الأصولية المسيحية فى أفريقيا:
دراسة للتأثير السياسي لبعض الحركات

دكتور باسم عدلي رزق

الأصولية المسيحية في أفريقيا: دراسة للتأثير السياسي لبعض الحركات

هذه الدراسة ورقة علمية مقدمة إلى مؤتمر " قضايا الإرهاب وتأثيرها على العلاقات العربية الافريقية ـ رؤية تقيمية " 2017

د. باسم رزق عدلى مرزوق(*)

(*) أستاذ مساعد في كلية الدراسات العليا الأفريقية - جامعة القاهرة

مقدمة:

لا يرتبط الإرهاب، سواء ممارسة أو عقيدة أو سلوكاً، فقط بأصحاب معتقد دينى بعينه دون الآخر، إنما توجد جماعات تتبنى وتمارس الإرهاب فى كافة المعتقدات الدينية، فمن الإرهاب ما هو مادى كالقتل والتدمير، ومنه ما هو معنوى ضمنى مستتر، فممارسات التهميش والإقصاء والتمييز العنصري تعتبر جميعها من الإرهاب، وهو ما يجعل صفة "الإرهابية" يمكن أن تلحق بأى جماعة تتبنى استخدام آليات وأدوات العنف لوضع أطارها الفكرى والايديولوجى موضع التنفيذ، وتصبح هذه الأدوات هى الأساس فى تحقيق أهدافها، بل وتحاول أن تجد فى الدين ما يبرر هذه الممارسات ويكسب الشرعية –الدينية على الأقل- لتلك الأدوات، وهو ما يمكن معه القول أن وصف الأصولية الإرهابية لا يقتصر على الحركات الإسلامية المتشددة فحسب، بل ينطبق على العديد من الحركات، منها ما هو مسيحى، ومنها ما هو يهودى، غير أن الغرب بأدواته الفكرية والإعلامية نجح فى أن يجعل وصف الأصولية الإرهابية يلحق فقط بالحركات التى ترفع الراية الإسلاموية، سواء كانت سلفية أو جماعات التكفير والهجرة، أو غيرها من الحركات الأصولية الإسلاموية، وجعل وصف أصولى يترادف مع وصف إرهابى، لتكون مقدمة لأن يقبل العالم الترادف بين المسلم أو الإسلامى وبين إرهابى.

لذا ستحاول هذه الورقة باستخدام المقارنة المنهاجية كأداة منهجية، أن تؤكد على أن الأصولية كتوجه فكرى موجود فى المسيحية، بخاصة المذاهب البروتستانتية التى تتبعها معظم الدول الغربية، وأن لهذه الأصولية تطبيقات فى أفريقيا يمكن أن توصف بكونها حركات إرهابية، وسيتم ذلك على النحو التالى:

المطلب الأول: تاريخ الأصولية المسيحية وتطورها.

المطلب الثانى: رابطة إخوان الأفريكانرز فى جنوب أفريقيا.

المطلب الثالث: حركة جيش الرب للمقاومة فى أوغندا.

المطلب الرابع: حركة "انتى بالاكا" فى أفريقيا الوسطى.

المطلب الأول

تاريخ الأصولية المسيحية وتطورها

يرتبط فى الآونة الراهنة الحديث عن الحركات الدينية الأصولية والعنف الذى تمارسه والإرهاب الذى تقوم به فقط بالحركات والجماعات التى ترفع الراية الإسلامية، وتراجع بل وأختفى الحديث عن الأصولية المسيحية أو اليهودية وتحركاتها وحركاتها، مع أن ممارسات وشعارات وعنف تلك الحركات تتقاطع مع التى للحركات الإسلاموية فى العديد من جوانب التشابه، سواء على مستوى الأطار الفكرى أو على مستوى الحركة والممارسة، ولذا جاءت أهمية دراسة الأصولية المسيحية، بخاصة تلك الحركات التى تنتشر فى القارة الأفريقية.

يشير مفهوم الأصولية إلى: "إدعاء أمتلاك الحقيقة، والحقيقة كلها، وغيرها لا حقيقة، أى احتكار الحقيقة، ورفض الآخر وما عنده، وتجريد ما عنده من كل حقيقة، بل ومحاولة تقييد حريته والغائه بالوسائل المعنوية أو المادية كافة"[32].

يشتق لفظ الأصولية فى اللغة من الجذر الثلاثى "أ ص ل" والاسم منها "أصل"، وأصل الشىء يشير إلى "أساسه الذى يقوم عليه"، حتى فعلها "يأصل أصالة" يشير إلى شرف النسب أو أن يجعل للشىء أصلاً ثابتاً يبنى عليه، لذا فصفة الأصالة تشير إلى جودة الشىء ومكانته الأساسية وتجذر تأثيره على ما يرتبط به من متغيرات، وتوصف الممارسة بكونها أصولية عندما ترتبط بأصول الدين كما وجد فى صورته الأولية قبل أن تدخله عناصر فلسفية أو توافقية، لذا فالمعنى أو الأساس اللغوى لمفهوم الأصوليه يحمل فى طياته معانى أيجابية، وليس معنى سلبي كما هو منتشر فى الفكر الاجتماعى وفى الأدبيات الدينية والاجتماعية والسياسية المعاصرة[4].

لم يكن هذا المفهوم شائعاً فى الكتابات الإسلامية الكلاسيكية، إنما استخدم فى التراث لوصف العلماء الذين يهتمون بالبحث فى أصول الدين، أو فى أصول الحديث، أو فى أصول الفقه، وإن كانت الفئة الأخيرة ممن يبحثون فى أصول الفقه هم أكثر من أطلق عليهم لفظ الأصوليين، حتى إن علم الأصول حينما يطلق كان يراد به علم أصول الفقه، لكن فى العصر الحديث اسُتخدم وصف أصولى أولاً فى الغرب لنعت الحركات الأصولية المسيحية، ذلك قبل أن يُستخدم العالم الإسلامى لوصف تيارات وحركات الصحوة الإسلامية وتيارات الإصلاح الدينى وبعض الحركات الإسلامية، ولكن مؤخراً تم دمج وصف الأصولى لشخص أو لحركة مع كونها إرهابية من عدمه، لذلك تحول مدلول المصطلح من كونه إيجابياً ليصبح ذات مضمون سلبى فى معناه العام[5].

يرى روجيه جارودى أن الأصولية بالمعنى المسيحى هى: "موقف أولئك الذين يرفضون تكييف العقيدة مع الظروف الجديدة"، فهى تعبر عن موقف جمود وتصلب، ومعارض لكل نمو وتطور، لذا أكد: "أن الأصوليات، كل الأصوليات...مسيحية، أو يهودية، أو إسلامية تشكل اليوم الخطر الأكبر على المستقبل...فهى مذاهب متعصبة، ومنغلقة على نفسها، بالتالى متجهة نحو المصادمة"، لذا تتسم بالجمود ورفض التكيف، وتدعو فى مجملها إلى العودة للماضى والانتساب للتراث، وهى بذلك تدعو للإنغلاق والتحجر[6].

---

[3] د. عيسى دياب، **الأصولية والتعصب والعنف فى الإسلام والمسيحية** (بيروت: دار المشرق، 2009)، ص 16.

[4] **المرجع السابق،** ص 12 و 13.

[5] **المرجع السابق،** ص 13 و 14.

[6] د. محمد عمارة، **الأصولية بين الغرب والإسلام** (القاهرة: دار الشروق، 1998)، ص 21 و 22.

كان لسقوط مدينة بيزنطة –رمز المسيحية بعد انتصارها فى الصراع مع روما- على يد الفتح العثمانى فى 1453، وتفاقم فضائح بابوات الكنيسة الكاثوليكية وممارساتهم الدنيوية، وسبقهم فشل الحملات الصليبية، وتلى كل ذلك تسارع وتيرة الاكتشافات والعلمية والتقنية للتحكم فى الطبيعة ومجابهة تعيداتها، أثره فى بداية مراجعة المنطق الروحى الذى كان يحكم المسيحية، وذلك لحساب المنطق المادى، وبدأ يصبح إعمال العقل هو الأصل فى فهم المتغيرات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية التى يتعرض لها العالم، وتراجع الإيمان بعصمة البابا ورجال الدين. شكلت هذه الوقائع البيئة التى بدأت فيها الحركة الأصلاحية المسيحية منذ القرن السادس عشر على أساس من أن احترام التراث أو ما يسمى بتاريخ الكنيسة وتقاليد الرسل لا يعنى العيش فيه وتقديسه، فهى موروثات من مرحلة بعينها كان لها ظروفها التاريخية والاجتماعية والدينية والتراثية الخاصة[7].

بدأت حركة الإصلاح فى الكنيسة على يد المصلحين البروتستانت أمثال "مارتن لوثر" (1483-1556)، وجون كالفن (1509-1556)، وهالدريتش زفنجلى (1484-1531)، وهم الذين تبنوا منطق "العودة إلى المنبع"، أى العودة للمسيحية النقية التى فى الكتاب المقدس وتراث أباء الكنيسة، فكانوا ثوريين ورجعيين فى نفس الوقت، وكان لتزايد وتيرة التقدم والتطور، وتراجع تأثير المنطق الروحى الذى كانت تستخدمه الكنيسة لتقديس كل ما تقوم به من بين العوامل التى ساعدت على زيادة زخم وتأثير تلك الحركة الأصلاحية، وبدأ قادة الحركة البروتستانتية الدعوة إلى ضرورة إعادة تنظيم عالمهم الدينى بكافة السبل حتى لو كان يشوبها قدر من التطرف والعنف، ورفضوا سيطرة الكنيسة على كافة مناحى الحياة الدينية، وبدأوا فى تقديم تفسير حر مستقل للكتاب المقدس، وأبدى بعضهم تأييده لقتل رافضى ذلك التوجه الإصلاحى، وبدأوا الدعوة إلى فك العلاقة بين الرمز والقداسة فى الممارسات والطقوس الدينية الكنيسة، وسرعان ما انتشر هذا المنطق الإصلاحى بين العديد من الجماعات المسيحية، بما كان يعطى دلالة على وجود استعداد لدى مسيحي أوروبا للتخلى عن المنطق الروحى وسيطرة الكنيسة على حياتهم الدينية والسياسية[8].

تبنت هذه القيادة الأصلاحية نهج عدائى نحو الكنيسة ورجال الدين، ووصفتها بكونها عدو للمسيح، ورفضوا أية علاقة بين الكنيسة وبين الدولة، وبرروا رفضهم بأن لكل منهم منطق عمل مختلف عن الآخر، ودعوا إلى العودة إلى نص الكتاب المقدس بحرفيته، وأهمية البعد عن التفسيرات المنحرفة التى قدمها رجال الدين التابعين للكنيسة، وأكدوا أيضاً على أهمية التوفيق بين كل ما يُبتكر وبين القراءة الحرفية

([7])كارين ارمسترونج، فاطمة نصر، محمد عنانى (مترجمان)، **معارك فى سبيل الإله: الحركات الأصولية الدينية فى اليهودية والمسيحية والإسلام** (القاهرة: دار السطور الجديدة، 2000)، ص ص 111-114.

([8]) **المرجع السابق،** ص ص 115-117.

للكتاب المقدس[9]، وانتشر هذا النهج فى العديد من الإقاليم الأوروبية، غير أنه أكتسب قوة استمراره وبقائه وانتشاره مع اكتشاف العالم الجديد وهجرات الأوروبيين لهذه الإقاليم، وبدء الدعوة والتبشير لهذا النهج بكافة الوسائل حتى لو كان من بينها وسائل العنف والتطرف[10]، وظهر هذا التوجه بشكل رسمى على نطاق واسع فى بداية القرن العشرين بسبب زيادة مطبوعات وكتابات وأنشطة الأصلاحيين الأصوليين فى العالم الجديد لمواجهة سيطرة الثقافة الشعبية على سكان العالم الجديد، ووجد هذا الإتجاه أيضاً رواجاً فى أمريكا الجنوبية بين الجماعات التى كانت تدعم وتدعو وترعى الحروب والصراعات، وترتكز رؤية الأصوليين البروتستانت على: عصمة الكتاب المقدس الموحى به من الله، والمجىء الألفى أو الحكم الألفى ومركزية دور إسرائيل فى هذا الحكم، وأهمية التفسير الحرفى للنص الدينى المعصوم، وضرورة تطبيقه على كافة نواحى الحياة، وهو ما يستوجب أحياناً الإنسلاخ من الثقافة المحيطة[11].

استخدمت الحركات والتوجهات الأصولية العديد من نصوص وآيات الكتاب المقدس لتفسير وتبرير وإكساب الشرعية لكل ما يقومون به من أعمال عنف وتدمير وقتل، ووصل الأمر بهم إلى أعتبار ذلك بمثابة واجب ديني، لعل من أهم هذه النصوص: "وإحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها" (سفر يشوع، الاصحاح 6، الآية 24)، و "ودخلوا المدينة وأخذوها وأسرعوا وأحروقوا المدينة بالنار...وضربوا رجال عاي...حتى لم يبق منهم شارد ولا منفلت" (سفر يشوع، الاصحاح 8، الآية 18-28)، و "ملعون من يمنع سيفه عن الدم" (سفر ارميا، الاصحاح 48، الآية 10)، و "ضعوا كل واحد سيفه على فخذه ومروا وإرجعوا من باب إلى باب فى المحلة واقتلوا كل واحد أخاه وكل واحد صاحبه وكل واحد قريبه" (سفر الخروج، الاصحاح 32، الآية 27)، و "فقال الرب لموسى خذ جميع رؤوس الشعب وعلقهم للرب مقابل الشمس...أقتلوا كل واحد قومه المتعلقين ببغل فغور"(سفر العدد، الاصحاح 25، الآية 4 و 5)، و "فضرباً تضرب سكان تلك المدينة بحد السيف...وتحرق بالنار المدينة وكل أمتعتها كلها"(سفر التثنية، الاصحاح 15، الآية 17)، وكللك آيات فى سفر حزقيال الاصحاح 11 الآية 8، والاصحاح 12 الآية 14[12]، وعلى الرغم من أن تلك الآيات وردت فى سياق تاريخى وأحداث مختلفة، ولا يوجد بها أمر بتعميم القتل فى كل عصر وزمان، لكن تحاول الحركات الأصولية إبرازها وكأنها الأساس لسياقها الفكر العنيف الدافع للقتل والتدمير.

سعى الأصوليين الأصلاحيين إلى وضع شكل مؤسسى للتوجه الفكرى الذى تبنوه، وبدأوا الترويج لأفكارهم من خلال الكتب والمطبوعات ووسائل الإعلام، وبالفعل نجحوا فى التأثير على نهج العديد من الدول والأحزاب والمؤسسات فى الدول الغربية، بل وأصبح هذا التوجه الدينى من معايير تصنيف الأحزاب

([9]) **المرجع السابق،** ص 119-164.

([10]) د. عيسى دياب، **مرجع سبق ذكره،** ص 15 و 16.

([11]) **المرجع السابق،** ص 16.

([12]) دار الكتاب المقدس فى الشرق الأوسط، **الكتاب المقدس** (القاهرة: دار الكتاب المقدس، 2003).

فى الدول الأوروبية والولايات المتحدة، وبدأ الحديث عن معسكر الخير ومعسكر الشر فى الولايات المتحدة، وأكدوا على حتمية الصدام بينهما، معتقدين أن للولايات المتحدة رسالة تنويرية يتحتم عليها القيام بها، وانتشرت فى أوروبا ظاهرة الأحزاب اليمينية الدينية، ففى بريطانيا نجد "الحزب الوطنى البريطانى"، وفى المانيا تنتشر هذه الظاهرة، بل أن "انجيلا ميركل" تعتبر أول لوثرية بروتستانتية تصبح مستشارة للبلاد تأتى من "الحزب الديموقراطى المسيحى"، وفى النرويج هناك حزب "فريمسكريت بارتيت"، وكذلك فى ايطاليا "التحالف الوطنى الايطالى" و "حزب ليجانورد"، وفى الدنمارك "حزب الشعب الدنماركى"، وتشترك هذه الأحزاب فى كونها لها موقف سلبى من الإسلام وما ينتج عنه من ثقافة، بل وتنادى بعضها بطرد المسلمين من أوروبا، وجميعها ترفع شعارات الأصلاحية الأصولية[13].

حاولت الحركات الأصولية المسيحية تسييس الدين لتحقيق أهدافها، وذلك باستخدام عدة أدوات لعل من أهمها: التحكم فى اقتصاد ثروات وتجارة العالم حتى تستطيع اختراق الامم الأعداء، وبالتالى تنشر الانجيل وفقاً لتصورها، وثانى هذه الأدوات يتمثل فى التأثير على السياسات الداخلية للدول التى تنتشر فيها، ذلك من خلال حفاظ الأحزاب اليمينية على العلاقة بين الدولة والدين، وأن تستخدم التوجهات الدينية لإفشال وإسقاط الأحزاب المنافسة، حيث تنظر هذه الأحزب إلى الكتاب المقدس باعتباره مصدر السلطات، وترى بعضها أن تطبيق القانون المدنى شرك بالله، بينما تعتبر السيطرة على التعليم والإعلام هى الأداة الثالثة للحركات الأصولية، وذلك فى إطار سعيها إلى تشكيل أجيال تؤمن فقط بالرؤى الأصولية، لذلك سعت إلى احتكار التعليم، والتحكم فى وسائل الإعلام والانترنت، بينما يعتبر التأثير على السياسة الخارجية لبعض الدول هى الأداة الرابعة لهذه الحركات، أى أن تكون هذه السياسات قائمة على أساس "التميز" وتحقيق الاكتفاء الذاتى والإنعزال عن العالم الخارجى إذا لزم الأمر، وهو ما يعتمد على تبنى القومية العسكرية والاستفادة الدائمة من ثروات دول العالم، وأن يكون من بين أهداف سياسة هذه الدول الخارجية نشر الأصولية المسيحية، بينما أخر أدوات الحركات الأصولية المسيحية يتمثل فى مركزية دور إسرائيل فى هذه المعتقدات الأصولية، ذلك على أساس إيمان مطلق بأن اليهود هم شعب الله المختار، وأن دعم دول العالم لهم سبب رخاء وبقاء لهذه الدول، بل وتصل بعض الحركات الأصولية لأعتبار هذا الدعم بمثابة واجب دينى، ولذا ظهرت فى الولايات المتحدة ما يعرف بـ "الصهيونية المسيحية" وهى التى أصبحت من أدوات توجيه الناخب الأمريكى نحو مرشح بعينه على أساس مقولة مارتن لوثر: "إن الروح القدس شاءت أن تنزل كل أسفار الكتاب المقدس عن طريق اليهود وحدهم، فاليهود هم ابناء الرب، ونحن الضيوف والغرباء، وعلينا أن نرضى بأن نكون كالكلاب التى تأكل من مائدة أسيادها"[14].

([13]) عبير شوقى زكى جرجس، "العلاقة بين الدين والسياسة فى أفريقيا: دراسة لبعض حركات الإسلام السياسي والأصولية المسيحية"، **سالة ماجستير** (القاهرة: معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، 2010)، ص ص 31-37.

([14]) **المرجع السابق**، ص ص 38-46.

وقد كانت لطبيعة البعثات التبشيرية التى أتت إلى القارة الأفريقية منذ القرن السابع عشر الميلادى أثرها فى انتشار النهج أو المذهب البروتستانتى فى أفريقيا، بخاصة عندما أصبح أعضاء هذه البعثات من الأفارقة الذين خضعوا للرق سابقاً، وهم الذين راحوا يؤكدون على علاقة الكنيسة الكاثوليكية بتجارة الرق فى أفريقيا، ومع اقتصار نفوذ الكنيسة الارثوذكسية على مناطق بعينها أغلبها فى حوض النيل، أصبحت أفريقيا بمثابة بيئة مناسبة لأنتشار المذهب البروتستانتى، ومن ثم يسهل معها تبنى الحركات لنهج أصلاحى أصولى يعتمد على العنف ورفض أو القضاء على الآخر[15]، وهى الحركات التى ستحاول الدراسة تحليل أهم نماذجها.

المطلب الثانى

رابطة إخوان الأفريكانرز فى جنوب أفريقيا

تعتبر من أقدم الحركات الأصولية المسيحية فى القارة الأفريقية، فهى جماعة سرية قومية لأقلية هم البوير (البيض الذين يعود نسبهم للفلاحين الهولنديين الذين أتت بهم شركة الهند الشرقية الهولندية لجنوب أفريقيا) داخل أقلية بيضاء هى الأفريكانرز (السكان البيض بخاصة الذين من أصل بريطانى) ذلك رغبة منهم فى عدم الاندماج والذوبان فى مجتمع جنوب أفريقيا، وتأسست هذه الرابطة سنة 1918 من مجموعة من شباب البوير فى مدينة جوهانسبرج التعدينية تحت اسم "شباب جنوب أفريقيا"، ثم تغير اسمها لتصبح "رابطة الأخوة"، ثم انتشرت وجذبت العديد من الأفريكانرز، خاصة بعد وصول المبشرين الصهيونيين والخمسينيين من أمريكا الشمالية، وقدمت رابطة إخوان الأفريكانرز The Afrikaner Boerderbond نفسها باعتبارها حركة ثقافية، لكن سرعان ما تدخلت فى الحياة السياسية، وساعدت فى تأسيس أحزاب تدافع عن مصالح الأفريكانرز مثل "الحزب الأفريقى الجنوبى" و "الحزب الوطنى"، ولكن تم إدماج الأول فى أطار الحزب الوطنى الذى استطاع تولى مقاليد السلطة فى جنوب أفريقيا عام 1948، بعد أن أصبح شعار الانتخابات درء "الخطر الأسود"، وسعت الرابطة إلى السيطرة على مؤسسات الدولة، وطوروا أفكارهم ليصبح لها صبغة فكرية فلسفية، بل وأصبحت لاحقاً بمثابة ايديولوجية عنصرية تم تطبيقها على كافة منطق وسكان ومؤسسات وممارسات جنوب أفريقيا[16].

([15]) Roy Love, "Religion, Ideology & Conflict in Africa", **Review of African Political Economy** (London: Taylor & Francis, Vol. 33, No. 110, September 2006), pp. 622-631.

Pepe Roberts, David Seddon, "Fundamentalism in Africa: Religion and Politics", **Review of African Political Economy**, No. 52, November 1991, pp. 3-8.

([16]) عبير شوقى زكى جرجس، **مرجع سبق ذكره**، ص ص 110-118. و

- Brian M. Du Toit, "Afrikaners, Nationalist and Apartheid", **The Journal of Modern African Studies** (Cambridge: Cambridge University Press, Vol. 8, No. 4, December 1970), pp. 533-545.

يتكون الأطار الفكرى للأفريكانرز من ثلاثة مكونات ثقافية هى: البروتستانتية الكالفينية، واللغة الأفريكانية، وتاريخ الأفريكانرز فى أرض الميعاد، ولذا تحولت الرابطة لتصبح حركة يمينية عنصرية، واقتصرت عضويتها على الرجال، وتبنت تكوين مجموعات صغيرة عنقودية تعمل فى سرية حتى تحافظ على بقاء الرابطة، وتتسم الرابطة بقدر من الديموقراطية الداخلية فى اختيار القيادات وفى العضوية الاختيارية، وكانت لها قدر من العداوة تجاه التوجهات الشيوعية، وتم تكوين هذا الأطار الفكرى فى ضوء المذهب البروتستانتى والكنائس الأفريكانية والصهيونية التى أسسها الأفريكانرز، وسعت الرابطة إلى نشر ايديولوجيتها العنصرية ولغتها الأفريكانية، بل ونشر نمط مسيحيتها فى كافة المستويات الاجتماعية تمهيداً لتأسيس جمهورية الأفريكانرز الفاضلة، وفى ضوء سياسات الفصل العنصرى والسعى للسيطرة على الملونين والأفارقة، عملت الرابطة على إختراق الوزارات والبرلمان ومجالس الكنائس المختلفة، وكذلك المؤسسات التربوية والتعليمية والمؤسسات الشرطية، واتحادات العمال، ووسائل الإعلام، ومؤسسات قطاع الصحة والثقافة، ونجحت فى ضم الكثير من المعلمين والجامعيين والعلماء والموظفين والوزراء ورجال الأعمال، ولكن ركزت الحركة نشاطها على التعليم ومؤسساته[17].

الأطار الفكرى الايديولوجى لرابطة إخوان الأفريكانرز:

طورت الرابطة سياسة وايدلوجية التمييز العنصرى لتصبح هى النهج الرئيسى فى جنوب أفريقيا فى ظل أعترافها بوجود ثقافات وإثنيات مختلفة، لكن ترفض الدمج بينها، حتى وإن كان منع ذلك الدمج بالعنف، فهى تعتبر العنصرية هى خطة الله الأصلية عند التعامل مع البشر، وحاولت الرابطة إيجاد الأطر العقائدية والفلسفية والعلمية التى تدعم استمرار ومصداقية التمييز العنصرى حتى بعد الغاءه كسياسة رسمية للدولة، وذلك من خلال إثبات تميز الأفريكانرز ونقاءهم، وتم استخدام أساطير دينية فى بعض الأحيان، ويتكون الأطار الفكرى لهذه الرابطة من مقومات عدة أهمها:

- *علم اللاهوت الاستعمارى:* حيث نظر الأفريكانرز إلى أنفسهم بأعتبارهم شعب الله المختار، وجنوب أفريقيا هى أرض الميعاد، ومن سواهم يكونوا كفرة وثنيين Kaffirs، ولذا أصبح تاريخ اليهود فى التوراه هو النسخة الأولى من تاريخ الأفريكانرز، وأن حربهم مع الزولو (حرب نهر الدم فى 1838) هى تماثل الخروج اليهودى من مصر، ونظروا إلى البريطانيين بأعتبارهم بابلى العصر الحديث، وأصبحت معاركهم هى حرب المؤمنين مع غير المؤمنين، ودعمت الكنيسة البروتستانتية هذا الزعم، وقامت بتبرير التمييز العنصرى بنصوص دينية، مؤكدة أن قصة برج بابل فى مضمونها كان أعتراضاً بشرياً على سياسة الله التمييزية بين صنوف البشر، واستخدموا أيضاً لعنة حام بن نوح لتبرير نظرتهم الدونية للسود واسترقاقهم، ولذا وبأعتبار

(17) Dan O' Meara, "the Afrikaner Boederban 1926-1948: Class Vanguard of Afrikaner Nationalism", **Journal of Southern African Studies** (London: Taylor & Francis, Vol. 3, No. 2, April 1977), pp. 164-168.

الشيوعية تنادى بالمساواة بين البشر فهى ملعونة لأنها بمثابة أعتراض على إرادة الله التمييزية التى تبيح العنصرية[18].

- *النظريات العلمية:* وهى مجموعة النظريات التى تقدم دليلاً علمياً –غير صحيح غالباً- على أن هناك ضرورة لعملية الفصل بين أصناف البشر، كالنظريات التى تؤكد على خطورة التهجين بين الجماعات البشرية، فالجيل الناتج سيكون أكثر تعرضاً للأمراض، وهو ما قام على أساس نظريات "التنافر الجينى" داخل الهجين أو الخلاسى، بما قد يتسبب فى كونه أكثر تعرضاً للتشوهات، بل وسيصبح أقل من غيره سلوكاً وفكراً، لذا نادت الرابطة بمنع التزاوج بين البيض والسود، حتى يظل الأبيض مصدراً للتقدم، بينما يحافظ الأسود على ثقافته العشائرية[19].

- *النظريات الفلسفية والدينية:* هى النظريات التى تؤكد وتبرر سياسات التمييز العنصرى، مثل نظريات أسس العلاقة بين الأجناس، والتى كانت ترى أن التمييز أمر مقبول، كذلك "النيو-كالفينية" التى أكدت أن هناك بشر أخيار بالفطرة، وهناك بشر أشرار بطبيعتهم، وأن الله يسود كافة مناحى حياة الأمة المتدينة التى تضم أفضل أنواع البشر (بدون أحفاد حام)، كذلك هناك نظرية أو مذهب "التيوليب الكالفينى" الذى يؤكد أن الطبيعة البشرية شريرة بفطرتها، وأن الله أختار مجموعة من الناس للخلاص بشكل حصرى، وهم أشخاص معصمون من الخطيئة. وهناك أيضاً نظريات تفسر التفاوت فى التطور بين الأمم بمقدار معرفة الأمة بالإنجيل، وبما أن الأفارقة تعرفوا على الإنجيل مؤخراً وبقدر محدود فهم فى ذيل قائمة التطور. وقد دعمت الكنيسة البروتستانتية الأصلاحية جميع هذه النظريات كتبرير لدعمها لسياسة التمييز النصرى[20].

تتشابه ايديولوجية الأفريكانرز العنصرية مع أسس ومقومات النازية الألمانية فى الإيمان بالأصل المميز واختيار الله لهم، وأيضاً فى التأكيد على أهمية تحول الأصل المقدس ليصبح أساس بناء وتطور الأمة، كذلك تشابها فى طبيعة نظرتهم لليهود، فرغم تمتع هذه الجماعة بوضع اقتصادى مميز فى جنوب أفريقيا، لكن كان لبعض الأفريكانرز نظرة عداء وريبة تجاههم، ولذلك دعمت الجماعة اليهودية سياسات الفصل العنصرى تجنباً لحدوث مذابح لهم على يد الأفريكانرز، بل وحاولت بعض الجماعات الصهيونية أن تجد لنفسها رابط وعلاقة مع بعض أجنحة أو مكونات رابطة إخوان الأفريكانرز، فبعض هذه الاجنحة

([18]) عبير شوقى زكى جرجس، **مرجع سبق ذكره**، ص ص 124-126.

([19]) **المرجع السابق**، ص 126 و 127. و

- Hermann Giliomee, "the Making of the Apartheid Plan 1929-1948", **Journal of Southern African Studies,** Vol. 29, No. 2, June 2003, pp. 376-391.

([20]) عبير شوقى زكى جرجس، **مرجع سبق ذكره**، ص 127 و 128.

- Saul Dubow, "Afrikaner Nationalism, Apartheid and Conceptualization of Race", **The Journal of African History** (Cambridge: Cambridge University Press, Vol. 33, No. 2, 1992), pp. 217-224.

كانت تدافع عن الهوية الإسرائيلية، ولذا أشتركت بعض عناصر الجماعة اليهودية فى الهجمات التى شُنت ضد جماعات أخرى، وقدمت تبريرات عدة للنشاط الإرهابى الذى تقوم به الرابطة، بل أن "حركة الهوية الإسرائيلية" كانت تؤمن أن ادم هو أصل الجنس الأبيض فقط، حيث أن ادم باللغة العبرية تعنى "المتورد أو حمرة الخجل التى تصيب الأبيض"، واستخدموا آيات من التوراة للقول بأن البيض هم ابناء الله، وأن من يعاديهم هم "نسل الحية" رمز الشيطان فى الكتاب المقدس، مؤكدين أن قايين (قابيل) وحام بن نوح هما من نسل الحية، وبما أن البيض هم ابناء الله فمن حقهم التمايز عن الجماعات الأخرى، بخاصة السوداء منها[21].

-*البعد الإقليمى (الأرض)*: ينظر الأفريكانرز إلى الأرض باعتبارها شرط لبقاء الأمة الأفريكانية، لذا أكدوا أن إقليم جنوب أفريقيا من حقهم، وتم طرح رؤى لتقسيم الأرض على أساس اللون أو الانتماء الاثنى، واكدوا أن ذلك يجب أن يتم على أساس التخلص من السود وتوزيعهم على دول الجوار، وإن رفضوا الرحيل يتم حرمانهم من كافة حقوقهم السياسية، وأكدوا أيضاً على ضرورة ترحيل الهنود إلى أوطانهم، وأن يتم تخصيص 13% من مساحة جنوب أفريقيا للسود الذين كانوا يشكلون نحو 75% من السكان آنذاك، على أن يتم تقسيم هذه المساحة اثنياً إلى "بانتوستانات"، وتصبح الـ 87% المتبقية من المساحة مخصصة للبيض، بأعتبار أن هذه هى أرض الميعاد[22].

الإطار الحركى لرابطة إخوان الأفريكانرز:

حاولت الحركة الأفريكانية الحفاظ على رؤيتها والسعى إلى تطبيقها من خلال استراتيجية داخلية وأخرى خارجية، حيث تقوم الاستراتيجية الداخلية على أساس ممارسة طقوس بعينها بهدف الحفاظ على سرية الرابطة، بخاصة فى مراسم أختيار وتنصيب الأعضاء والقيادات، وهى المراسم التى كانت تتشابه إلى حد كبير مع الممارسات الماسونية فى خطواتها، وفى التأكيد على سوء خاتمة الخائن أو الخارج عن الرابطة، كذلك سعت الرابطة إلى تكوين علاقات وارتباطات بمؤسسات المجتمع، خاصة المؤسسات الثقافية، كما كان للرابطة مجالس مراقبة ووحدات بوليس خاصة بمتابعة ومراقبة سلوك الأعضاء والتزامهم، كما استخدمت الرابطة الكنيسة الهولندية الإصلاحية لتبرير سياسات وممارسات وأفكار الرابطة، خاصة الكنائس الكالفينية منها، بل وتم منع السود من دخول كنائس بعينها، واتسعت حركة الكنائس المستقلة، بل وقام السود –رداً على ذلك- بتأسيس مدناً أطلقوا عليها "صهيون"، وجعلوها مركزاً للحج وممارسة الطقوس كرد فعل على عزلهم، وروجوا لها بأعتبارها أرض الميعاد عند عودتهم من المنفى الداخلى

---

[21] عبير شوقى زكى جرجس، **مرجع سبق ذكره**، ص ص 128-131.

[22] **المرجع السابق**، ص 131 و 132.

المتمثل فى العزلة، لكن مارست الرابطة ومؤسساتها العديد من أشكال الإضطهاد والمطارادات لرجال الدين من السود[23].

فى حين قامت الاستراتيجية الخارجية للرابطة على أسس وسبل التأكيد على دعم سياسة الابارتيهد فى الجنوب الأفريقى، سواء تم ممارستها منذ وصول الأوروبيين إلى المنطقة فى القرن السابع عشر الميلادى، أو بعد وصول الأفريكانرز إلى السلطة فى 1948، فقد تم تطوير ذلك الفصل العنصرى ليصبح بشكل قانونى، فقد تم حرمان السود من ممارسة حقوقهم فى التعليم والإسكان، وتم إجبارهم بالقانون على العيش فى أماكن لا تصلح للسكنى (البانتوستانات)، وفُرض عليهم الاستمرار كأيدى عمل رخيصة، وصدرت الكثير من القوانين التى تقنن الفصل العنصرى وتمنع الأختلاط، فصدر قانون منع الزواج المختلط، وقانون "سلطات البانتو" الذى يضع هياكل حكومية خاصة للسود فى أماكن اقامتهم، وكذلك قانون "منع البناء غير الشرعى" الذى اسُتخدم لهدم أحياء السود لإبعادهم عن البيض، بل وفُرضت قوانين عرقية على الممارسات التجارية، وقانون يفصل حتى أماكن التسلية، وقانون تعليم البانتو الذى يخصص مدارس وجامعات للسود، ويمنع المساواة بين البيض وغيرهم فى التعليم، وتم منع السود من الإنتقال للحضر، وتم الأعتراف بالبانتوستانات كدول وأوطان جديدة للسود، وتم تطبيق قانون "التصنيف العرقى" الذى يخصص حافلات ومستشفيات وكنائس للسود، ويمنعهم من حمل جواز سفر، وتم تبرير كل تلك الممارسات بأنها عودة للأصولية المسيحية، وأن هذا هو النهج الألهى الذى أمر به الله فى الكتاب المقدس[24].

المطلب الثالث

حركة جيش الرب للمقاومة فى أوغندا

تعد حركة جيش الرب للمقاومة فى أوغندا The Lord's Resistance Army/ Movement من أشد الحركات الأصولية عنفاً وتطرفاً على مستوى العالم؛ ذلك لطبيعة ومستوى عملياتها الوحشية ضد المدنيين فى أوغندا والدول المجاورة، فالنزاع فى أوغندا له جوانب اثنية وإقليمية تتصل بعدد من دول الجوار. حيث يعتبر شمال أوغندا هو قاعدة إرتكاز جيش الرب، الذى تكون بالأساس بين جماعة "الأشولى" The Acholi، وهى الجماعة التى أصبحت ذاتها هدفاً لعمليات جيش الرب لاحقاً، وقد تلقت هذه الحركة دعماً من بعض دول الجوار بأعتبارها أداة لدعم عدم الاستقرار فى أوغندا، وهو ما تم فى خضم دعم الحركات المتمردة المتبادل بين الدول الأفريقية المتجاورة[25].

([23]) **المرجع السابق**، ص ص 133-136.

([24]) **المرجع السابق**، ص ص 137-139.

([25]) Frank Van Acker, "Uganda and The Lord's Resistance Army: the New Order of One Oredered", **African Affairs** (Oxford: Oxford University Press, Vol. 103, No. 412, July 2004), pp. 335-354.

كان للسياسة الاستعمارية أثرها فى تكوين جيش الرب، فقد أدت هذه السياسة إلى جعل جنوب وغرب أوغندا أكثر ثراءً من الشمال والشرق، وفى نفس الوقت تمت الاستفادة من جماعة الأشولى فى تكوين القوات المسلحة الأوغندية، لذللك أصبح معظم قادة الجيش من الأشولى القادمين من بيئة فقيرة ومهمشة، لذا حاول الرئيس الأوغندى الأسبق عيدى أمين بعد الاستقلال، وتحديداً فى سنة 1971 أن يخفف من سطوة الأشولى على القوات المسلحة، لكنه فشل، وزادت قوة هذه الجماعة بعد الخلاف الذى نشب بين "يورى موسيفنى" و "ميلتون أوبوتى" على حكم أوغندا فى بداية الثمانينيات، وكانت فرصة ليسيطر "نيو أوكيلو" –أحد ابناء الأشولى- على السلطة لفترة، لكن نجح موسيفنى فى استعادة السلطة، لكن كان لهذا الحادث، وما تبعه من ممارسات موسيفنى، أثره فى زيادة عدد الجماعات الرافضه لحكمه، خاصة بعد أن قام بعدد من الحملات ضد الأشولى، وعمل على تدمير اقتصادهم[26].

تم تأسيس جيش الرب بين جماعة الأشولى فى سنة 1986 على يد سيدة تدعى "اليس أوما"، وهى التى حملت لاحقاً لقب "لاكوينا" Lakwena، الذى يعنى رسول بلغة الأشولى، وهى التى أدعت أنها أُمرت من الروح القدس بتنقية أوغندا من حكم موسيفنى ومن العنف الذى بين جماعاتها، ولكنها كانت تنادى فى نفس الوقت بأمكانية استخدام العنف لتحقيق الهدف باعتباره أحد الضروريات لتنقية المجتمع، فأطلقت على حركتها "قوات الروح القدس المتنقلة" أو "حركة الروح القدس"[27].

انضم إلى هذه الحركة الكثير من عناصر الجيش الوطنى الأوغندى، بخاصة بعد صراع موسيفنى مع "أوبوتى" و "أوكيلو"، ولذا أنضم إلى الحركة الكثير من اتباعهما، ثم استقر بهم الحال فى جنوب السودان مشكلين ما كان يعرف "جيش أوغندا الديموقراطى الشعبى"، وبدأت الحركة تحركاتها فى نهاية عام 1986، لكن كان أشدها أثراً ما قامت به الحركة فى 1987، حين قادت "لاكوينا" نحو عشرة آلاف مقاتل ليصلوا قرابة العاصمة الأوغندية كمبالا محققة الكثير من الانتصارات قبل أن يتصدى لها موسيفنى قبل كمبالا بنحو 80 كم فقط، وهربت بعدها "لاكوينا" إلى معسكرات اللجوء فى كينيا حتى ماتت هناك، وحاول والدها "سيفارينو لاكويا" أن يستخدم ذات الأدوات لأحياء الحركة مطلقاً عليها "جيش الرب"، وقام بتوجيه كافة أعمال وعنف الحركة ضد المدنيين، لكن تم القاء القبض عليه وسجنه فى 1989[28].

بدأت كثافة تحركات وقوة تأثير هذه الحركة يظهر مع تولى "جوزيف كونى" مقاليد إدارتها، خاصة بعد توقيع "جيش أوغندا الديموقراطى الشعبى" اتفاق للسلام مع موسيفنى، وأطلق كونى على حركته "جيش أوغندا الديموقراطى الشعبى"، وأعلن فى عام 1992 أن هدفه إسقاط حكم يورى موسيفنى، وإقامة نظام

([26]) عبير شوقى زكى جرجس، **مرجع سبق ذكره**، ص 81 و 82.

([27]) Kevin C. Dunn, "Uganda: The Lord's Resistance Army", **Review of African Political Economy**, Vol. 31, No. 99, March 2004, p. 140 & 141.

([28]) عبير شوقى زكى جرجس، **مرجع سبق ذكره**، ص 83 و 84.

يقوم على تطبيق "الوصايا العشر" المذكورة فى التوراة، وعمل كونى على تنظيم حركته بشكل هرمى يأتى هو والقادة العسكريين للحركة على قمته، ثم الضباط، وأخيراً المقاتلين، وأن يشكل الأشولى المصدر الرئيسى لقادة هذه الحركة، كما أنه يعتمد على استخدام الأطفال فى حركته، ويمثل كونى الأساس الروحى والفكرى والسياسي لهذه الحركة، ويزعم أن التخطيط للحرب ياتى له وحياً من الروح القدس باعتباره "الرسول المقدس جوزيف كونى" الذى يجب أن ينقل هذه الخطط إلى "القادة المقدسين"، وتتكون الحركة من خمسة ألوية رئيسية، وقد قامت الحركة بالخطف القسرى لكثير من الأطفال وتجنيدهم جبراً فى الحرب، لذا يصعب تقديم حصر دقيق لأعداد هذه الحركة التى تتسم بالقوة والإعتماد على الذات والتنظيم عالى المستوى، كما أن لديها مخزون كبير من الأسلحة، ولها قدرة تنفيذ أسلوب حرب العصابات بدقة ووحشية ترهب به المدنيين بما يسهل لها نهب ثرواتهم[29].

يستخدم جوزيف كونى أدوات الحرب النفسية بدقة وبمهارة للتأثير على المدنيين، لذا أعاد تسمية حركته أكثر من مرة، فقد أطلق عليها فى البداية "الجيش الموحد للخلاص المقدس"، ثم عُرفت بـ "الجيش المسيحى الديموقراطى المتحد"، ثم "جيش أوغندا الشعبى الديموقراطى الحر"، وأخيراً "جيش الرب للمقاومة"، وبرر تغيير اسم الحركة لجيش الرب بأنه جاء بناء على رغبة الجنود فى التعبير عن عمق الإيمان بالله، ويرى أن الحافز الأساسى للجنود الذى يدفعهم للقتال مُوحى به من الله عن طريق نبيه "كونى"، فقد نصب الأخير نفسه "نبياً ممسوحاً للرب" لا يجوز حسابه، وأدعى أن له قوة ورؤية روحية، وأنه أرُسل لإنقاذ الأشولى، وأن القتال الذى يقوم به سوف يستمر لحين القضاء على من يقتل الشعوب فى كافة أجزاء العالم، حيث أن هدفه الرئيسى تحطيم قوى الشر فى العالم[30].

تقوم ايديولوجية حركة جيش الرب للمقاومة على قطع صلة من ينتمى لها بعائلته، وتصبح الجماعة أو الحركة هى عائلته، ولذا يجب عليه الطاعة العمياء، وأن يرفض قواعد المنطق الشيطانية، لذا فهناك ولاء كامل للحركة ورئيسها يرتكن بالأساس إلى تهديد بالقتل لمن يخالف، وذلك تحت دعوى أن الخطأ يمكن أن يهدد وجود الحركة كاملة، التى بات أعضاءها يؤمنون بأن لهم رسالة ومهمة سماوية تتمثل فى تخليص العالم من الشر بالعودة لتطبيق الوصايا العشر، ولذلك كانوا يواصلون الصلاة بالهتاف والترنيم لساعات طويلة، وأعلن جوزيف كونى: "إن ايديولوجية الحركة قائمة على تحرير أوغندا من الكفار

([29]) Phuong N. Pham, Patrick Vinck, Eric Stover, "The Lord's Resistance Army and Forced Conscription in Northern Uganda", **Human Rights Quarterly** (Maryland, USA: The Johns Hopkins University Press, Vol. 30, No. 2, May 2008), pp. 405-411.

([30]) عبير شوقى زكى جرجس، **مرجع سبق ذكره**، ص ص 85-90. و

- Sverker Finnstrom, "Wars of the Past and War in the Present: The Lord's Resistance Movement/ Army in Uganda", **Africa: Journal of International African Institute** (Cambridge: Cambridge University Press, Vol. 76, No. 2, 2006), pp. 210-214.

والعلمانيين، وحكمها وفقاً لقواعد الإنجيل بشكل عام، والوصايا العشر بشكل خاص، بهدف جعلها مركزاً لنشر المسيحية الصحيحة الحقيقية"، وهى المسيحية التى تلقاها كونى من المسيح مباشرة بحسب زعمه[31].

لم يتشكل للحركة برنامج سياسي واضح، إنما ما تم إعلانه هو ما يتعلق بأنها تهدف إلى دعم التعليم الوطنى، وتكوين جيش متوازن اثنياً، وتشجيع الاستثمارات الأجنبية، وتحسين العلاقات مع دول الجوار، وأن يكون فى أوغندا وزارة للشئون الدينية، وأمور أخرى من شأنها تحسن العلاقات مع دول جوار أوغندا، وهى المطالب التى تغيرت مع بدء المفاوضات مع النظام لتصبح مركزة حول سبل تعويض جماعة الأشولى عن الإبادة الجماعية التى تعرضت لها على يد قوات الحكومة، مع أن الحركة ذاتها كانت من بين أدوات تدمير ونهب ثروات الأشولى[32].

صبغ جوزيف كونى نفسه بصبغة مقدسة تتراوح بين الرسول تارة والإله تارة أخرى، وأمتدت هذه الصبغة لتشمل كافة جنوده، بل والحرب التى يقوم بها هى حرب مقدسة، والهدف منها إقامة دولة دينية، لذلك وضع طقوس فى الصوم والصلاة والعبادات تختلف عن التى فى صحيح الديانة المسيحية، بل أطلق على نفسه أحياناً أسم "محمد" محاولاً المزج بين المسيحية والإسلام وما هو تقليدى فى المجتمع الأفريقى[33].

برر جوزيف كونى كافة الممارسات الوحشية التى قامت به حركته بأنها الرد المناسب على سياسات الحكومة، واستخدم الأذاعة التى أطلقها (راديو أوغندا الحرة)، والصحيفة التى أصدرها من السودان، وشبكات الانترنت للإعلان عن انتصارات الحركة، ورغم كل ذلك لم تتجه عمليات الحركة إلى جنوب أوغندا، بل تركزت على الشمال وعلى المدنيين، بل وشملت بعض دول الجوار أحياناً (السودان وجنوبها والكونغو الديموقراطية)، واستخدم النظام السودانى الحركة منذ 1994 لإثارة القلاقل ضد موسيفنى الذى كان يدعم الحركة الشعبية لجنوب السودان وجيشها، واسُتخدمت الحركة كذلك لضرب معقل ومركز حركة جون جارنج، واستخدم كونى العديد من النصوص الدينية لتبرير ما تقوم به حركته من إرهاب وتدمير، دون أن يضع النص الدينى فى السياق التاريخى الذى ورد فيه، ولذا اباح علميات الخطف القسرى، وتجنيد الأطفال، وبتر وأكل أعضاء البشر، بل واللعب بهذه الأعضاء المبتورة، ونفذت الحركة العديد من الأعدامات الجماعية، ومع أنها حركة مسيحية لكنها اباحت تعدد الزوجات، ليصل عددهن إلى خمسة عشر زوجة لبعض القادة، ويكون عدد الزوجات بحسب المرتبة التى يحتلها المقاتل فى الحركة، وتم تبرير ذلك بتفسير مشوه مغلوط

([31]) **المرجع السابق،** ص 90

([32]) **المرجع السابق،** ص 91.

([33]) **المرجع السابق،** ص 92 و 93.

للكتاب المقدس يحقق أهداف الحركة ويرضى غرائز أعضاءها فحسب، مع أن كل ممارساتها تخالف تعاليم المسيحية[34].

لجأت الحركة فى بعض الأحيان إلى التجنيد الأجبارى لشباب الأشولى حتى تواجه تناقص الدعم للحركة بعدما تخلى شيوخ الأشولى عن جوزيف كونى، وتعرضت العديد من قرى الأشولى للقصف من جيش الرب أحياناً، ومن القوات الحكومية أحياناً أخرى، وقتلت الحركة العديد من ابناء الأشولى بسبب رفضهم الإنضمام للحركة، وكذلك عملت الحكومة على استئصال المتعاونين مع الحركة، ولذا وجهت العديد من الضربات للمدنيين لتقويض الإمداد البشرى للحركة، ولذا بات استئصال الأشولى هدف يجمع بين الحكومة وجيش الرب كلٌ بحسب أدواته[35].

كان لسياسة الحكومة الأغندية أثرها فى زيادة وتيرة نشاط وتحركات حركة جيش الرب، ذلك بسبب استمرار تهميش وإقصاء بعض الإقاليم والجماعات، بخاصة التى فى الشمال، وكانت تفضل عدم التدخل فى هذا الإقليم، بل والتعتيم إعلامياً على ما كان يحدث فيه، حتى عندما أهتم الرأى العام العالمى توجه إلى الأهتمام بما تقوم به الحركة من أعمال وحشية، وكان لسياسة الحكومة تجاه السودان وتدعيم جون جارنج الأثر فى تلقى جيش الرب دعماً من النظام السودانى، وإن كان قد نجح موسيفنى فى وضع هذه الحركة على قائمة المنظمات الأرهبية بعد 11 سبتمبر 2011، بخاصة بعدما تدخلت القوات المسلحة الأوغندية فى جنوب السودان (عملية القبضة الحديدية 2003/2002)، وهى المحاولة التى باءت بالفشل، وصدر بعدها فى 2005 مذكرة أعتقال لجوزيف كونى من المحكمة الجنائية الدولية، وهو ما دفع الحركة للمفاوضات وتقريب وجهات النظر فى 2006 و 2008، لكن كانت الحركة ذاتها هى التى تخترق هذه الاتفاقات وتهاجم المدنيين، مما دعا الحكومة الأوغندية ومعها بعض الأطراف الإقليمية (الكونغو الديموقراطية أحياناً، وجنوب السودان أحياناً أخرى) الأشتراك والتنسيق للقضاء على هذه الحركة، ولكن لم تنجح هذه الأدوات، وهو ما يبرره البعض بأختراق الحركة للحكومة الأوغندية ذاتها[36].

حاول النظام استخدام ذات الأدوات الدينية لسحب هالة القداسة التى يضعها مقاتلى جيش الرب حول حربهم وتمردهم، وذلك عن طريق الكنيسة الوطنية في أوغندا، لكن لم يؤثر ذلك على قدرات الحركة؛ بسبب القدرات العسكرية والتسليحية التى تفوق قدرات القوات المسلحة الأوغندية فى بعض الأحيان، وعمل جوزيف كونى أيضاً على إفساد كافة محاولات التفاوض أو الإتفاق مع الحكومة الأوغندية بسبب: "إن عملية السلام تعنى أنتها امبراطوريتى، لذلك يجب أن أطمئن على أمنى ورفاهيتى فى حالة قبول السلام" بحسب قول كونى ذاته، ولكن للحرب العديد من الأثار السلبية التى تلقى بعاتقها على كاهل

([34]) **المرجع السابق،** ص ص 94-97.

([35]) **المرجع السابق،** ص ص 99-102.

([36]) **المرجع السابق،** ص ص 103-106.

الحكومة الأوغندية، فقد تم تدمير الثقافة التقليدية للأشولى، وانتشرت ظاهرة الأطفال الجنود، والأوبئة، والكثير من الأرامل والايتام، وأصبح أكثر من ثلثى سكان أوغندا تحت خط الفقر، ودمرت العملية التعليمية، وبات النظام يوصف بكونه فاشل فى دحر هذه الحركة[37].

المطلب الرابع

حركة انتى بالاكا فى أفريقيا الوسطى

بدأت أرهاصات الحرب الدينية فى أفريقيا الوسطى فى نهاية عام 2012 حين بدأت حركة سيليكا تمردها ضد الرئيس الأسبق "فرانسوا بوزيزية"، حيث تمكنت الحركة من إحكام سيطرتها على البلاد فى نهاية مارس 2013 بعد أن فر الرئيس بوزيزيه متجهاً إلى الكونغو الديموقراطية قبل أن ينتقل بعدها إلى الكاميرون ليستقر هناك، لتختار سيليكا بعدها "ميشال جوتوديا" زعيماً لهان وهو من كان يشغل منصب نائب رئيس حكومة "نيكولا تيانغاى"، تلك الحكومة التى تكونت بعد اتفاق ليبرفيل الذى عقد بين سيليكا والرئيس الأسبق بوزيزيه[38]، ومع أن جوتوديا اتخذ خطوات من شأنها إنهاء المرحلة الانتقالية، وأكد فى البداية انه لا ينوى الترشح لرئاسة أفريقيا الوسطى، غير أنه فى النهاية أصبح المرشح الوحيد لرئاسة البلاد فى الانتخابات التى جرت فى إبريل 2013، وتم الإعلان عن تشكيل حكومة وحدة وطنية شملت معظم أطياف المجتمع المؤثرة برئاسة "نيكولا تيانغاى"، ولكن سيطرت سيليكا على أغلب الوزارات السيادية الرئيسية فى تلك الحكومة[39].

صنف البعض ما حدث فى أفريقيا الوسطى بأنها حرب لها بعض الجوانب الدينية، مع أن 50% من سكان هذه الدولة يعتنقون المسيحية، بينما يشكل أصحاب المعتقدات التقليدية نحو 35%، فى حين يشكل المسلمين نحو 15% من عدد السكان الذى وصل لنحو خمسة ملايين نسمة فى 2012، لكن كان أغلب مقاتلى سيليكا من المسلمين الذين يقطنون شمال أفريقيا الوسطى، وتم الترويج لتلقى هذه الحركة دعماً من السودان وتشاد للسيطرة على السلطة فى هذه الدولة، بل ويؤكد كثيرون أن هناك مقاتلى السودان وتشاد فى صفوف هذه الحركة، وأن حركة لها توجهات أصولية إسلامية، وتم تأكيد أن هدفها خدمة مصالح الأقلية المسلمة، خاصة بعد أن سيطر التجار المسلمون على حركة التجارة فى المدن والقرى التى سيطرت عليها سيليكا، كما أن "ميشال جوتوديا" أعلن تقلده سدة الحكم من المسجد الكبير فى العاصمة

([37]) **المرجع السابق**، ص ص106-109.

([38]) فرانس 24، "قائد متمردى أفريقيا الوسطى يعلن نفسه رئيساً للبلاد ويبقى على حكومة أقتسام السلطة"، من موقع:

www.france24.com/ar/20130325

و - سكاى نيوز عربية، "تعليق الدستور فى أفريقيا الوسطى"، من موقع:

www.skynewsarabia.com/web/article/156880

([39]) فرانس 24، "تشكيل حكومة وحدة وطنية جديدة فى أفريقيا الوسطى"، من موقع:

www.france24.com/ar/20130401

بانجى فى إبريل 2013 وسط هتافات وتكبير من المصلين، وهو ما أثار حفيظة وتخوف بعض الحركات والجماعات المسيحية، بخاصة مع محدودية عدد المسلمين فى هذه الدولة، ومع ذلك لم تتعرض ممتلكاتهم للنهب والتدمير كالذى حدث للممتلكات المسيحيين منذ تولى سيليكا مقاليد الأمور، ومع أن جوتوديا عاد وكرر تأكيده على علمانية أفريقيا الوسطى، وأعلن فى سبتمبر 2013 عن حل حركة سيليكا، والدعوة لدمج مقاتليها فى القوات المسلحة، لكن رفضت معظم الميليشات المنطوية تحت لواء هذه الحركة هذه الخطوات، وزادت أعمال العنف والسلب والنهب والقتل، لتبدأ بعدها مرحلة انتقامية من ميليشات مسيحية أصولية تعرف باسم "انتى بالاكا" Anti-Balaka، والتى تعنى "مكافحة المنجل" أو "مكافحة السيف"، ولذا بدأ يأخذ الصراع فى أفريقيا الوسطى منحى الحرب الدينية والأقتتال الطائفي، وشهدت البلاد أعمال عنف وقتل ويصل بها البعض إلى حد أن هناك تطهير وإبادة للأقلية المسلمة فى هذه الدولة منذ 2013[40].

تبلور لدى المسيحيين فى أفريقيا الوسطى معتقد أن حركة سيليكا تمثل المسلمين المتمركزين فى الشمال والجنوب الشرقى للبلاد، وأنها بدعم دول الجوار المسلمة أطاحت بالرئيس المسيحى، وأنها تسعى للسيطرة على البلاد من خلال نشر العنف والفوضى وقتل المدنيين المسيحيين، لذا بدأت المواجهات بين حركتى "سيليكا" و "انتى بالاكا" فى النصف الثانى من العام 2013، ومع تصاعد أعمال العنف أصبحت هجمات الحركتين تستهدف المدنيين فقط على أساس المعتقد الدينى، بخاصة تلك الاعمال التى تقوم بها "انتى بالاكا" التى زادت وتيرة أعمالها ضد المدنيين المسلمين بصورة مطردة، وكان رد سيليكا بتعقب المدنيين غير المسلمين، بخاصة من الذين ينتمون إلى جماعة "جبايا" Gabaya التى ينتمى لها الرئيس الأسبق فرانسوا بوزيزيه، وتصاعدت أعمال العنف بعد أن نجحت حركة "انتى بالاكا" فى أستهداف مواقع حركة سيليكا فى العاصمة بانجى، لذلك فر معظم مسلمى أفريقيا الوسطى كلاجئين إلى الدول المجاورة، وتم إغلاق وتدمير الكثير من المساجد، بل وهرب مسلحى سيليكا إلى الشرق تاركين المدنيين المسلمين لأشد أنماط العنف والاضطهاد والنهب والتنكيل بهم من المتشددين المسيحيين، وتؤكد تقارير العديد من المؤسسات والهيئات أن هدف الأصوليين المسيحيين إبادة للأقلية الدينية ودفعها لترك أفريقيا الوسطى[41].

([40]) International Criminal Court, **Situation in the Central African Republic** (Amsterdam: International Criminal Court, June 2014), pp. 6-9. &

- Amnesty International Publication, **Central African Republic: Time for Accountability** (London: Amnesty International Publication, 2014), pp. 14-25.

([41]) International Crisis Group, **the Central African Republic's Hidden Conflict, Africa Briefing No 105** (Nairobi: International Crisis Group, December 2014), pp. 1-15.

تؤكد الكثير من التقارير والتحقيقات الإعلامية والحقوقية أن مسلحى سيليكا يتلقون دعماً واسعاً من الدول المسلمة المجاورة، خاصة من تشاد والسودان، وأن مرتزقى الدولتين يشكلون نحو 80% من عدد أعضاء حركة سيليكا، فى حين يعودون بتشكيل حركة "انتى بالاكا" إلى ستينيات القرن المنصرم حين تشكلت هذه الحركة من مجموعة من الصيادين التقليديين لمحاربة الجور أو الاستبداد أو نهب حقوق جماعاتهم، ولكنها عادت للظهور مؤخراً وتداخل فى تكوينها بقايا قوات أفريقيا الوسطى المسلحة، وبعض عناصر الشرطة والأمن، وهى العناصر التى لا تزال تحتفظ بقدر من الولاء للرئيس الأسبق بوزيزيه، ولكن تم الترويج أن تشكيل هذه الحركة جاء للدفاع عن النفس فى مواجهة الميليشيات المسلمة[42]، وتشترك حركتى "سيليكا" و "انتى بالاكا" فى طبيعة الوحشية والعشوائية والطائفية التى تمارسها كل منهما، بما أودى بحياة قرابة خمسة آلاف شخص، أغلبهم من المدنيين، ومن بينهم الكثير من الأطفال، وكانت بعض أعمال العنف تتم بشكل جماعى لعدد من المواطنين فى الطرق للنازحين، أو فى المساجد، أو فى أماكن التجمعات[43].

إزاء فشل سياسات ميشال جوتوديا فى إحتواء العنف الطائفى الذى تزايدت كثافته فى أفريقيا الوسطى، وبعد قمة إقليمية فى تشاد برعاية "المجموعة الاقتصادية لدول وسط أفريقيا" أختار جوتوديا التخلى عن السلطة فى 11 يناير من العام 2014، ليتم اختيار الرئيسة "كاثرين سامبا-بانزا" لرئاسة البلاد، بأعتبارها شخصية توافقية تستطيع قيادة المرحلة الانتقالية، وهى مسيحية الديانة، ومع ذلك لم تتوقف اعمال العنف التى تشهدها البلاد، بما جعل حركة "انتى بالاكا" ومن يناصرها تطالب الرئيسة بالاستقالة، بخاصة مع استمرار أستهداف المدنيين المتبادل، وتدمير البنية الأساسية للبلاد[44].

أصبحت "سيليكا" تتحكم فى وسط وشرق وشمال أفريقيا الوسطى، بينما يقع الغرب والجنوب الغربى تحت سيطرى آلاف من مقاتلى حركة "انتى بالاكا"، ويبدو أن سيليكا لا تزال تتحكم فى الجزء الأكبر من الدولة، بخاصة منطقة "بريا" الغنية بالذهب والماس، وهى حركة تشكل خطراً على مستقبل أفريقيا الوسطى، فى حين تتبنى "انتى بالاكا" استراتيجية نشر الفوضى حتى تصل إلى حكم البلاد، أو على الأقل تشارك فى تكوين الحكومة فى المستقبل. ويرصد البعض علاقة لحركة "انتى بالاكا" مع حركة جيش الرب

([42]) International Federation for Human Rights (FIDH), "Central African Republic: They Must Leave or Die", **Investigative Report** (Paris: International Federation for Human Rights, 2014), pp. 3-5.

([43]) Amnesty International Publication, **Ethnic Cleansing and Sectarian Killings inCentral African Republic** (London: Amnesty International Publication, 2014), pp. 8-22.

([44]) سكاى نيوز عربية، "60 قتيلاً بمعارك غرب أفريقيا الوسطى"، من موقع:

www.skynewsarabia.com/web/article/431642

و - سكاى نيوز عربية، "استقالة رئيس أفريقيا الوسطى المؤقت"، من موقع:

www.skynewsarabia.com/web/article/526293

للمقاومة فى أوغندا، خاصة بعد إعلان الأخير عن توسعة مجال حركته لتشمل العديد من دول الجوار، ويؤكدون وجود نشاط لجيش الرب فى أفريقيا الوسطى، بل يرون أن حركة "انتى بالاكا" تتبنى ذات الأدوات الوحشية والتوجهات الفكرية عند تعاملها مع مسملى دولتهم، فقد بدأ نشاط "انتى بالاكا" بمهاجمة المجموعات التشادية التى لها امتداد داخل أفريقيا الوسطى مثل الفولانى Fulani، والجولا The Gula، و الرنجا The Runga، ثم اتسعت دائرة حركتها لتشكل كافة المسلمين، وهذا ما أعلنه قادة الحركة عن سياستهم فى التعامل مع الأقلية المسلمة: "يجب عليهم المغادرة أو الموت"[45].

فسر "إدوارد نجاسيونا" –وزير سابق فى عهد فرانسوا بوزيزيه- المنسق العام لحركة "انتى بالاكا" سبب العداء الذى تكنه هذه الحركة للمسلمين بأنه جاء كرد فعل على سياسة الإقصاء التى تعرضت لها الحركة إبان المرحلة الانتقالية وتولى سيليكا وانصارها إدارة أمور البلاد، مؤكداً أن نهج "انتى بالاكا" العنيف بمثابة رد فعل على: "إنكار لفضلها...فقدوا ذاكرتهم، نحن من أنقذناهم"، معتبراً أن هذه الحركة تمثل انتفاضة ضد "ميشال جوتوديا"، وارجع عنف الحركة بعد أن ترك الأخير السلطة إلى عدم استعانة الرئيسة كاثرين سامبا-بانزا بقادة الحركة المسيحية، ولذا أكد نجاسيونا على أن الحركة جاءت للرد على نشاط حركة سيليكا المسلمة المتشددة المدعومة من دول مسلمة، لذا يرى: "ليس هناك أمان اليوم، ولا يمكن أن نظل مكتوفى الأيدى نشاهد التشاديين يطلقون النار على شعبنا"، وأن: "ما نشهده فى الأحياء هو تصفية حسابات، الانتى بالاكا ليسوا قتلة ولا سارقين، لابد من محاربة هؤلاء الأشرار، لابد من إشراك الانتى بالاكا الحقيقيين ضد الانتى بالاكا المزيفين"، ويقدر عدد الحركة بنحو 70 ألف مقاتل يتمركز أكثر من نصفهم فى العاصمة بانجى[46].

ومع أن نظام أفريقيا الوسطى يسعى إلى تطبيق برنامج لنزع سلاح الميليشيات المتناحرة، لكن يرى نجاسيونا أن هذا البرنامج متحيز، حيث يؤكد: "لقد استوعبوا عناصر سيليكا مع أسلحتهم (سلاح لكل مقاتل) ويطلبون من الانتى بالاكا نزع أسلحتهم دون مقابل"، ولذا طالب بتعديل جوهرى فى البرنامج حتى "يؤدى كل فرد الصلاة كما يشاء"، ولذا: "لابد من إجراء إصلاح عميق فى القوات المسلحة فى أفريقيا الوسطى قبل نشرها على الأرض، وإلا فإن التجاوزات لن تتوقف"، مؤكداً: "لن تقبل القوات المسلحة بعناصر سيليكا ضمن الجيش الجمهورى"، ويعتبر انصار الانتى بالاكا أن ما يقومون به هو نصرة للمسيحية التى هى دين الدولة بحسب تصورهم[47].

([45]) International Federation for Human Rights, **op. cit.,** p. 3 & 4. &

- سكاى نيوز عربية، "أفريقيا الوسطى..16 قتيلاً بهجوم لجيش الرب"، من موقع:

www.skynewsarabia.com/web/article/291635

([46]) موقع البوابة للأخبار، "أفريقيا الوسطى: الميليشيات المسيحية تتهم السلطة بإنكار دورها فى مواجهة المتمردين المسلمين"، من موقع

www.albawaba.com/ar/55362

([47]) **نفسه.**

خاتمة

فى النهاية يمكن القول أنه من تحليل الأطار الفكرى والحركى الذى تقدمه النماذج الثلاثة للحركات الأصولية المسسيحية فى القارة الأفريقية يمكن التأكيد على عدة ظواهر وحقائق لعل من أهمها:

- إن التوجه الأصولى الإصلاحى ليس سلبياً فى حد ذاته، ولكن قامت معظم الحركات الأصولية فى كافة المتعتقدات الدينية بقصر حق التفكير فى الإصلاح وتنفيذه على عناصرها، وفتحت الباب أمام كافة الأجتهادات والأدوات بما فى ذلك العنف والتطرف لتحقيق هذا الهدف، ولذا لا يقتصر وصف الحركات الأصولية المتشددة (الإرهابية) على أصحاب التوجه الإسلامى، إنما توضح لنا النماذج أن بعض الحركات المسيحية كانت أسبق من المسلمة فى تبنى العنف والتمييز والتكفير، بل ورفض الآخر وما له من سلوك ومعتقدات وتوجهات فكرية، واحتكار الإيمان لها وحدها.
- هناك تشابه واضح بين الحركات الأصولية المتشددة المسيحية والحركات الإسلاموية، سواء على صعيد الأدوات والآليات التى تستخدم، أو سيطرتها على مؤسسات التعليم والتربية والتكوين فى الدول التى تنشط بها، وتبريرها الدينى للعنف والتطرف الذى تمارسه، وكذلك تتشابه فى وحدة الهدف فى سعيها للأشتراك أو الأستحواذ على السلطة، وأيضاً فى علاقة كافة هذه الحركات بالتوجهات والتنظيمات الصهوينية.
- جاءت كافة الحركات الأصولية المسيحية من الجماعات التى تبنت المذهب البروتستانتى، وخاصة التوجه الكالفينى منه، وهو التوجه الأكثر تشدداً، ووجدت فى هذه المذهب، وفى كنائسه ورجال دينه الأدوات التى استخدمتها لتبرير، بل وإكساب شرعية، لكل ما تقوم به الحركة، وهو فى معظمه يخالف الأسس الراسخة للعقيدة المسيحية.
- لجميع الحركات الأصولية المسيحية المتشدة توجه سلبى نحو الآخر بشكل عام، غير أن تفعيل هذا التوجه السلبى وتطبيقه بعنف يكون عندما تصبح علاقة هذه الحركات مع الشريعة الإسلامية ومن يتبعها، وهو ما يمكن تفسيره فى ضوء سياسة رد الفعل على تاريخ العلاقة بين التوجهين، وعلى ما تقوم به بعض الجماعات الإسلاموية فى المسيحيين، لذا مع ما يحدث فى الدول العربية، يمكن توقع زيادة نشاط الحركات المسيحية المتشددة فى أفريقيا، وربما تبرز حركات جديدة.